التصعلك

Le pillage. Ou Le brigandage

وصف وفرز: في المعجم: تصعلك: افتقر، والصّعلوك: الفقير، والضعيف، وجمعه صعاليك وصعالِك. وصعاليك العرب: لصوصهم وذؤبانهم وفقراؤهم، والشعراء الصعاليك في الجاهلية، هم طائفة من الشعراء هجروا أقوامهم أو قبائلهم، وخرجوا عن ولائهم القبلي والبيئي إلى المجاهل والبوادي، لا ينفكون عن الغزو والإغارة والعيش على ما يغتنمون . والإنفاق على بعض من بليهم من الفقراء والمعوزين..

وأرى أن ظاهرة التصعلك في هذا العصر، ما تزال مستمرة في أكثر صورها ومظاهرها، بل يمكن أن نعتبر بعض المظاهر الأخرى كالتسكع و(التبهلل)، والتمسكن، والتزهو و(الدروشة) فروعاً لتلك والظاهرة.

فمازلنا نرى . ولاسيما في المغرب . فئة تعيش على السطو ومداهمة البيوت والدور، أو السيارات أو أصحابها خاصة في الساعات المتأخرة من الليل، إذ تضعف الحراسة، أو تنعدم وتصعب المراقبة، وينام أكثر الساهرين على الأمن، وقد سمعنا من ذلك ما يشبه الحكايات والأساطير في ألف ليلة وليلة!.

أقول . بل لقد هاجمني: أحدهم مرة بسكينه، بعد منتصف ليلة من ليالي رمضان عام ١٩٨١، وأنا عائد من الرباط إلى تمارة وقد كنت واقفاً بسيارتي أعالج أمراً طرأ فيها، وأخذ يلوّح بها في وجهي، تحت جنح الظلام، آمراً أن أسلمه ما أملك من نقود، ولحسن الحظ لم يصبني إلا بثلاث طعنات سطحيات، هذا وإن فئة منهم فتحت باب سيارتي . ذات يوم . في طنجة ليلاً وسرقت ما فيها من ملابس وكتب ومسجلة وكاميرا..

رغم تلسيمها إلى العسّاس لحراستها مع السيارات الأخرى، ولما ذهبت إلى مركز الأمن للشكوى، وجدته غاصاً بالشكاة، عن أحداث أشد هولاً، وأكثر فداحة ورعباً ومرارة.. كان أحد السياح التونسيين . مثلاً . يصرخ بمرارة وحرقة: لقد نزلوا بي ضرباً ولكماً، وسلبوني محفظتي، وفيها أربعون أو ستون ألف دينار.

. وفي رأس سنة ١٩٧٨، رأيت بعيني، أحدهم يفتح سيارة أحد أصدقائي الأساتذة، ويجمع ما فيها من أشياء، وكنت عابراً من هناك صدفة، فلما رآني قادماً نحوه، فر هارباً، لا يلوي على شيء!.

ـ وحدثني أستاذ زميل: أنه خرج وامرأته ذات ليلة، من سهرة عند أحد معارفه، فلما وصلا إلى الساحة المظلمة تقدم شخص ملثم منهما، واختطف المحفظة من يد المرأة، وولى هارباً في الظلام!.

هذا غيض من فيض، وهو دليل ساطع على استمرار هذه الظاهرة في عصرنا.

. وقد فاتني أن أذكر . كذلك . أنني ذات يوم، شاهدت، بأم عيني أحدهم ينهب تلك الشقق والفيلات القائمة على شاطئ البحر، قرب الجديدة في القرية المسماة، (سيدي بوزيد) فلما رآني عابراً خنس، واختفى في أحد المسارب.

ـ ورأيت أحدهم يبيع، في السوق، أدوات صيد حديثة ثمينة، على أنه مالكها، وإذا برجال من الشرطة السرية يكتشفون . بأدلتهم . أنه سارقها بالدليل القاطع ويقبضون عليه معترفاً لهم بالسرقة!.

وقد قرأت في إحدى الصحف المغربية المحترمة، أن فئة من هؤلاء، سطوا على جمعية للفن والموسيقا وسرقوا كل الآلات الموسيقية وبعض الأثاث..!.

. ومازلنا نسمع . أيضاً . أن بعض هؤلاء، يهاجمون النساء والفتيات في الأماكن البعيدة المنعزلة، أو في ساعات حلول الظلام، يسلبونهن حليهن أو ما معهن من النقود والأشياء الثمينة وقد يتعدى الأمر كثيراً إلى اغتصابهن.. وقد يقتلون الضحية إذا خيف منها الشكوى إلى سلطات الأمن.

. حدثتني إحداهن بأن التي تقع في أيديهم، يشدونها عنوة، ويضربونها، ويهددونها، ويخيفونها، ثم يأخذون منها ما يجدونه معها، أو يفسقون بها جميعاً بالتناوب! وإنا تكون محظوظة كثيراً، إذا هم أرسلوها، بعد ذلك، حية سالمة.

أما المتسكعون، والبهاليل . بالمعنى العامي . والدراويش، والمتمسكنون، المتزهدون.. فإنهم . في المغرب . كثرة تحير الغرباء والزائرين وهم . لكثرتهم وتواجدهم . في كل قرية ومدينة . صاروا، في نظر أبناء البلاد شيئاً عادياً مألوفاً! فقلما تخلو منهم عرصة، أو ساحة، أو شارع أو سوق، أو زقاق أو غير ذلك مما يضطرب فيه الناس ويزدحمون.. فمنهم جماعة رأيتها بالجديدة، تطوف على البيوت في الأحياء، ومعهم ناقة صغيرة قد زركشوها وزينوها، وحملوا بأيديهم الدفوف وغيرها من آلات الموسيقا والإيقاع، فإذا وقفوا أمام هذه الدار أو تلك، ضربوا آلاتهم، ورددوا أدعية وصلوات وكلمات يحفظونها، وقاموا بحركات معينة، ومازالوا كذلك، حتى يخرج إليهم بعض من في الدار، ويتجمهر الناس.. فيعطيهم صاحب الدار، وبعض من حضر.. ما تيسر من الأغذية، كالسكر أو الدقيق وبعض الزيت أو الخبز.. ومن الريالات والدراهم، ثم يمضون إلى دار أخرى، وهكذا..

ومنهم . أيضاً . فرقة دينية متزهدة متصوفة، تعيش على نفقة الموسرين في الأحياء، فتنصب كل ليلة، خيمتها أمام دار أحدهم، وتمدد سلكاً كهربائياً، منها إلى الخيمة للإنارة، وصاحب الدار مكلف، أو يعدُّ نفسه مكلفاً عرفاً . في تلك الليلة أو اليوم . بتقديم الطعام والأتاي (أي الشاي) وشيء من الحلوى أو الفاكهة، وغالباً ما يكون الطعام أكلة، أو طبقاً مشهوراً في المغرب، اسمه (الكُسكُسُ).

ومع تصرم النهار، وقدوم الظلام يجتمعون في الخيمة، يتذاكرون، فإذا حضرت الصلاة، صلوا جماعة، ثم أخذوا في الذكر والأدعية والصلوات على النبي (ص) حتى إذا جاء صاحب الدار . المضيف بالإكراه . بصحن كبير مصنوع من الفخار، عارم بتلك الأكلة وقيل ذلك الأتاي قد دارت على الحاضرين، أثناء الذكر.. والدعاء والصلاة التفوا حول السفرة، وجعلوا يأكلون بأيديهم . لأن هذه الأكلة، تؤكل بالأيدي، حسب الأصول لا بالملاعق!.

وفي الليلة التالية، ينتقلون ليخيموا أمام دار محسن أو جواد آخر.. وهكذا دواليك!.

ومنهم جماعة متزهدة، تتبع أحد الأولياء، وتنطلق وتنطق باسمه.. رأيتهم يجلسون بالمدينة على الرصيف، ومعهم بعض الأدوات يوقعون عليها، ويرددون كلاماً لم أفهمه، ويستجدون المارة.. فإذا ما ملوا مجلسهم، أو استوفوا حظهم منه، انتقلوا إلى مجلس آخر، وهكذا..

ومنهم الثنائيون، الذين يتجولون في الأحياء والأزقة: اثنين اثنين، أحدهما يضرب على دف (بندير) والآخر يعزف على ربابة أو شبهها، أو ناي أو عود صغير ونحوه، ويرددون أدعية وأغاني شعبية، وما إلى ذلك، ويطلبون المعونة والصدقة..

ومنهم المتزهدون أو المتصوفون الذين يجلسون إلى القبور أو أضرحة الأولياء والصالحين، يتعيشون مما يصل إلى أيديهم من صدقات المحسنين والمحسنات، اللائي والذين لا ينفكون يزورونها تبركاً، وزلفى، وقضاء للحاجات المختلفة، وتوسلاً إلى الله في التوبة والقبول!.

وأما الدراويش والبهاليل . بالمعنى العامي لهذه الكلمة . فقد رأيت منهم عدداً غير قليل، في المدن والقرى والنواحي.. وعجبت من أمرهم، وفلسفتهم للحياة! ترى أحدهم يفترش مكاناً في الأرض مكشوفاً، على رصيف أو قرب فناء دار، أو حديقة، يقيم فيه شهراً، أو شهوراً، وحوله ومعه وسائل طعامه وشرابه ومنامه.. البسطة البدائية الموسخة، والمسخمة، وعليه أسماله البالية يلتف بها، وتعمره وإياها القذارة والوعثاء والشعث.. ويعلوه الضعف والبلاء والشقاء والحرمان، ومع ذلك قلما يلتفت إلى الناس يسألهم أو ينظر إلى حالهم، وإنما تراه، غالباً مشغولاً بحاله يُصلح شيئاً، أو يمسح، أو يرفو، أو يطبخ أو يتفلى.. إلخ وإنما الناس هم الذين يلتفتون إليه، وينشغلون به، ويتعجبون منه، وتجود عليه أيديهم، بما يتيسر لها.

ومن المساكين أو المتمسكين أفراد عجيب أمرهم، لا يسألون الناس، وإنما يقصدون عموماً دوراً معينة لبعض الميسورين المحسنين، حيث يطرق أحدهم الباب، ويجلس متقوقعاً على نفسه منتظراً بصمت وهدوء، فيناوله أهل الدار وجبته الغذائية المعتادة، وشرابه من الأتي أو غيره، فإذا طعم وشرب وروي رد الأواني الفارغة إلى أهل الدار شاركاً متحمداً، وانصرف للوجبة التالية.

أما المتسكعون في الشوارع والطرقات والأزقة والساحات فما أكثرهم! معظمهم من الفتيان والشباب العاطلين أو المتعطلين، ومن الطلبة الفاشلين، ومن المشردين والمتشردين والمتمردين على أسرهم وآبائهم.. ومن السكارى والحشاشين والمدمنين، ومن قطاع الطرق والمجرمين والمنحرفين.. الذين يتسكعون في النهار، وينشطون وينغمسون في جرائمهم وانحرافاتهم بالليل.

ورأيت، ذات يوم، جماعة من المتصعلكين أو الدراويش يضربون خيمتهم في أحد الأحياء بالجديدة، ثم يجتمعون أمام هذه الخيمة، يدقّون ويرقصون، مرددين كلاماً لم أفهم إلا بعضه، فإذا ما كثر الناس حولهم اشتد نشاطهم في الدق والتوقيع والرقص، وأخذ أحدهم زجاجة، فحطمها على الأرض، وأخذ يرقص على حطامها حافياً! دون أن يسيل من قدميه قطرة من دم! ودون إظهار أي حرج أو توجع من الوطء بقدميه على ذاك الحطام، يحاول زيادة تحطيمه وتفتيته بينما يأخذ رفاقه بالصياح والتهليل للمهارة والمعجزة! فإذا ما فرغوا، طاف أحدهم على المتجمهرين، بلقنسوة أو وعاء يطلب الأجر والإحسان..

وفي الرباط، رأيت جماعة من المتزيين بأزياء الشيوخ والفقهاء، يجلسون إلى ضريح ولي مشهور عندهم، وبين يدي كل منهم ريش لكتابة، ومداد وأوراق وكتب قديمة صفراء، وشبحات وغير ذلك وغير ذلك، يستدعون إليهم المارة.. وقيل لي أن لهم زبائنهم وقُصّادهم من الجنسين، يحسبون الفأل لهم،

ويقرؤون لهم مستقبلهم وطالعهم، ويكتبون لهم الحجب والأحراز، ويرشدونهم إلى الحلول والأدوية المناسبة . بزعمهم . بالحقائق المسلمة، لمشاكلهم وأمراضهم.. إلخ، مما يختلط فيه السحر والشعوذة والدين بالكذب والتدجيل، والطب والحكمة بالخرافة والجهل وابتزازاً وطلباً للمال.

الأسباب

أ . البطالة: وقد سبق الحديث عن هذا السبب مستفيضاً عند بحث أسباب التسول، فليرجع إليه من أراد.

ب . التدين الخاطئ:

إن كثيراً من الناس المحسوبين مسلمين مؤمنين، أو يحسبون أنفسهم كذلك، قد فهموا الدين الإسلامي فهماً خاطئاً، أو مشوهاً، أو ناقصاً، أو منحرفاً... فهو عند أغلبهم مجموعة عبادات جسدية، ومفاهيم مجردة، وطقوس خاوية.. ليس إلا!.

ومنهم فئة فهمت الدين على أنه مجموعة قيم وأفكار رجعية بالية، فناصبوه البغضاء والعداء، وأقاموا، في أنفسهم، حواجز دون مكارمه وفضائله.. ومنهم فئة جاهلة، لا تعرف من الدين كوعه من بوعه، وإلا أسماء وهياكل عظيمة، وقشور جافة..

والتدين الخاطئ ناجم . في نظري . أولاً . عن أخذ الدين عن الآباء، بالوراثة والتقليد الأعمى، وعدم الرجوع إلى الينابيع الأساسية الأصيلة، وهي: القرآن وما يتبعه من تفاسير وعلوم، والسنة النبوية بكتبها الصحيحة الثابتة، وتفسيراتها وعلومها، وإلى العلماء الفقهاء الثقات المتبحرين في أصناف من العلوم، بالإضافة إلى علوم الدين.

وناجم كذلك ثانياً . عن أخذ الدين من أفواه الجهلة وأرباع المثقفين والمتفقهين والمدعين للعلم، وما أكثرهم في البلاد العربية، والإسلامية، ومما يقوله ويذيعه الأعداء المتربصون.. وناجم ثالثاً . عن القصور العقلي، والقلق النفسي، والفتور الروحي، والضعف والانحطاط الطموحي والعزمي.. وسوء الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي عامة.

ج . الجهل والأمية:

بالرغم من الجهود التي تبذلها الحكومات المتعاقبة لنشر العلم والثقافة، ومحاربة الجهل والأمية.. فمازالت هذه الجهود، أقل بكثير من المستوى اللائق المطلوب، إذ ترى أن هذه الجهل، وتلك الأمية، بقيا قعيدين مع قرينين آخرين هما: المرض والبؤس، في السواء الأعظم من أبناء هذه الشعوب، ويا للأسف، وسوء الحظ، و عيب الشؤم!!.

وإذا كانت الأمية تشكل في بلادنا هذه حوالي ستين بالمئة، فإن الجهل يفوق هذه النسبة أشواطاً بعيدة لأنه ليس التحرر من الأمية تحرراً من الجهل، وإنما هو أول الطريق إلى العلم والاستنارة.

وأقبح الجهل وأرذله، هو الجهل بالدين، لأن الدين الإسلامي مرادف للحياة بكل معانيها، وفهمه فهم لهذه الحياة جسدياً وروحياً.. ومنطلق وحافز إلى فهم المعارف والعلوم الأخرى، وتقديرها حق قدرها، ووضعها في موضعها اللائق والمناسب.

د . إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذلك من قبل المسؤولين والمشرفين والرعاة.. إذ لو قامت وسائل الإعلام المختلفة، من إذاعة وتلفزيون وصحافة وغيرها بواجب التوعية وقام الأساتذة والمعلمون المربون، وخطباء المساجد والمحافل ومن إليهم، بواجب التبصير والنصح والتنوير والهداية إلى كل خير ومعروف، والتنفير من كل ما هو شائن ومنكر وشر.. وترك الحبل على الظاهرة وغيرها من أثر فالتسبب، وترك الحبل على الغارب، واللامبالاة.. هي السمات التي أصبحت تطبع معظم النفوس، وأوجه الحياة ونشاطاتها، وإلى هذه العلة، ينبغي توجيه العلاج، وصب العناية والاهتمام، إذا أردنا الحياة كريمة عزيزة شريفة.. كما أرادها الله (تعالى) لنا.

النتائج والعواقب

لا ريب أن عواقب تلك الظاهرة: ظاهرة التصعلك، وما يتبعها من فروع، كالتسكع والدروشة، والتزهد، والتمسكن وخيمة، ونتائجها خطيرة، على الأفراد، والمجتمعات التي تحضن أولئك الأفراد، ونلخص . فيما يلي . أهم وأبرز هذه النتائج:

A . إفساد أمن البلاد والعباد:

والواقع أن أكثر ما قلناه قبل، بشأن نتائج وعواقب التسول والتشرد، يصدق هنا، ويصلح أن يقال مثله في هذا الباب، الذي نحن بصدده الآن، بالإضافة إلى أن التصعلك وفروعه، تؤدي إلى ضياع الأمن، في المجتمع، وانتشار الرعب والفوضى والخوف على الأرواح والممتلكات والأرزاق.. بسبب انتشار السُّراق والنهَبَة وقطاع الطرق والسكارى والحشاشين والمعربدين والنشالين.

B . احتمال تحول قسم كبير منهم إلى مجرمين و منحرفين خطرين.. فلا أحد يضمن أن يبقى المتزهد، أو المتسكع، أو الدرويش، على حاله . كما هو . إنما يتحول كل من هؤلاء فجأة في ساعة من الساعات إلى مجرم، أو منحرف يعيث في الأرض فساداً والعباد.. مادام بحاجة إلى المال، الذي هو بأيدي الآخرين، ومادامت حاجاته تتزايد وتتسع، وتلجُّ في الصراح والضغط عليه.

C . قتل الكرامة والضمير الإنساني:

ففي التصعلك والتمسكن والتزهد والدروشة.. قتل للكرامة، وإهانة للمروءة، وتحقير وتحطيم للضمير، في شخوص هؤلاء وتعويد على المذلة والهوان، وحمل على الرضا بالدنايا، وارتكاب الخطايا، وتربية لهم على معاداة المجتمع، والكيد للناس، ومجافاة السواء القويم، والصراط المستقيم، وكراهية الحق والنظام، والإنتاج والعمل.

D . حرمان الوطن والأمة من طاقات هائلة:

لاشك أن في اعتزال هؤلاء العناصر، من متصعلكين ومتزهدين ومتصوفين ودراويش وبهاليل ومتسكعين، العمل المنتج، والسعي المعطاء.. حرماناً للوطن ومجموع الأمة، من طاقة هائلة، وخير وفير، وإنهاكاً وإضعافاً للقوة الاقتصادية وبالتالي، عرقلة وتأخيراً عن بلوغ الأهداف وتحقيق المرامي..

وليت شعري، لماذا نغفل أو نتغافل عن معالجة مثل هذه الظواهر المرضية، مع أننا ندرك أنها من المسائل الحيوية الملحة، ويحضنا الدين الحنيف والخلق القويم والإحساس الإنساني النبيل على المبادرة إلى العلاج الناجح، والحل الحاسم.

E . تشويه سمعة البلاد والإساءة إلى الوطن والدين وأهله:

فطبيعي أن يكون وجود هؤلاء الشذاذ والمحرومين والمنبوذين والمنحرفين والعالة.. وصمة عار على جبين المجتمع الذي ينتمون إليه، وبؤرة مفاسد وقلاقل ومشاكل، تشوه سمعة البلاد، ونقطة ضعف، ونذير شؤم على الوطن والدين وأهله وذريعة للأعداء، ينفذون منها للطعن عليه، وعلى معتنقيه. وسبباً لنزول النقمة واللعنة والبلاء من رب السماء!.

العلاج أو الحلول المقترحة

I . علاج البطالة: قد سبق الكلام عن البطالة وعلاجها عند الحديث عن ظاهرة التسول.

II . علاج مشكلة التدين الخاطئ: قد أشرنا إلى علاج هذه المشكلة عرَضَاً، وبشكل خاطف، عند التحدث عن التدين الخاطئ سبباً من أسباب التصعلك وفروعه، ويجدر بنا الآن، الوقوف . بشيء من التفصيل . عند هذا الموضوع.

ذكرنا أن التدين الخاطئ ناتج عن عدة أسباب، منها:

. أخذ الدين عن الآباء بالوراثة والتقليد الأعمى.

. وأخذه عن الجهلة وأرباع المثقفين والمدعين للعمل وأشباههم..

. وأخذه من أفواه وكتابات الأعداء والحاقدين والمتربصين والضالين ونظرائهم.

وعلاج ذلك كله الرجوع إلى النبعين الأصيلين، الصافيين والأبديين، كتاب الله، وسنة نبيه، أما كتاب الله . القرآن الكريم . فمما لاشك فيه، أنه وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تنوول بالبحث والدراسة عبر آلاف، بل ملايين الكتب والمجلدات . من النواحي ا لمختلفة . إلا أنه، من الضروري جداً، والمفيد جداً أيضاً عمل الأمور التالية:

أ . تحديد الناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث تحديداً قطعياً، لا لبس فيه ولا غموض، بالاستناد إلى تواريخ النزول، والصدور وأسبابهما.

ب . استنباط الأحكام القطعية وتحديدها وفرز الترجيحية والاحتمالية.

ج . التقريب أو الدمج أو التوحيد لكل المذاهب الأربعة أو الخمسة أو إجراء التبسيط والتسهيل لكافة تلك الدراسات والبحوث، وجعلها في متناول الصغير والكبير من أبناء الأمة، وقريبة من مدارك وعقول الجميع.

د . ولا يتم ذلك إلا بعد دراسةٍ جديدة وغربلة شاملة للأحاديث المختلفة، وإعادة تقويمها وتصفيتها وتنقيتها، على ضوء أحكام القرآن القطعية الثابتة، وعلى محك أحكام العقل والمنطق والتجربة العلمية، والخبرة التاريخية، وحينما نتم ذلك، على الوجه الصحيح الأكمل، سيكون بين أيدينا إلى جانب كتاب الله (عز وجل) وكتاب سنة رسوله، (صلى الله عليه وسلم) . التي ينبغي أن تُجمع في كتاب واحد فقط . كتاب ثالث يربط بين الكتابين، ويجمع أحكام الدين جميعاً، أو صورة الشريعة الإسلامية كاملة واضحة منيرة.

قد يقول قائل: لكن هذا العمل يحتاج على زمن طويل، ونحن نريد البدء بتصحيح التدين الخاطئ منذ الآن، فما السبيل؟

ورداً على مثل هذا السؤال أقول:

لابد لكل متعلم ومثقف من معاودة الرجوع إلى القرآن الكريم وكتب السنة . مراراً وتكراراً . وكلما سمحت له الظروف، ومزاولة الفهم وإعمال العقل، وإجراء الموازنة بين ما في هذين النبعين، وما كتبه العلماء والفقهاء وأصحاب المذاهب، لاستخلاص الحقائق والثوابت، وتصحيح المفاهيم الغالطة وإزالة الأوهام والأباطيل والترهات العالقة.. ريثما يتم ذلك ولابد . كذلك . من الرجوع إلى العلماء المختصين الثقات وأهل الدراية والخبرة والنوايا الحسنة، لسؤالهم واستفسارهم واستشارتهم والأخذ عنهم.. ويتعين ذلك خاصة، على الضعيف المعرفة، وقليل الزاد من العلم والثقافة، وعلى أولئك الذين لا يملكون حيلة ولا وسيلة، لمتابعة العلم والدراسة، وملازمة أهلهما، والاختلاف إلى مظانهما، كسكان الصحاري والبوادي والأرياف النائية، ومما لا ريب فيه، أن قيام الفئة المتفقهة المتعلمة، بواجباتها، في التوعية والتنوير، وتمثيل الدين للفئات الأخرى، عملاً وعلماً وأخلاقاً ومعاملة.. من أحسن العوامل المساعدة على نشر التدين الصحيح وتصحيح الخطأ، أو إلغاء الفاسد.

أضف إلى ذلك، الجهود التي ينبغي أن تُبذل في مجال محاربة الجهل والأمية.. وذلك من قبل الحكومات والأفراد جميعاً.

III . علاج الجهل والأمية:

في تصوري، إن علاج مشكلة الجهل والأمية، لابد أن يمر في مرحلتين:

الأولى: علاج الأمية، ويتأتى ذلك بفرض التعليم الإجباري المجاني، على كل أمي وأمية حتى نهاية المرحلة الإعدادية . على الأقل . على أن تسبقه حملة توعية وتشجيع مناسبة، وتجند لذلك جميع الأجهزة في الدولة، مع تسخير جميع الطاقات المتاحة للشعب أو الأمة ولا يجوز أن يُهمل، أو يعفى من هذا البرنامج التعليمي الثقافي، قاص ولا دان، ولا صغير ولا كبير، ذكراً كان أم أنثى.. ولابد . من أجل ذلك . من توفير الكتب المجانية وغيرها، وفتح مراكز في الصحاري والبوادي والأرياف، وكل الأماكن النائية، وتوفير المربين والأساتذة والإداريين وغيرهم..

الثانية: علاج الجهل، ويكون بتعميم التعليم الثانوي والجامعي، وفتح عديد من المعاهد والمراكز الثقافية والمكتبات العامة، وإعداد وتجهيز كافة المساجد والزوايا وما إليها.. لتكون مراكز تعليم وتثقيف

فإشعاع وتربية حتى السجون والمعتقلات.. يجب أن تغدو أماكن تربية وتعليم وتثقيف وإشعاع، ولابد من إيلاء الجنود والفلاحين والعمال، والبدو الرحل، حتى الغجر.. العناية والاهتمام، في هذا الصدد، وذلك باستعمال المراكز الثقافية المتنقلة، والوسائل المحمولة والأطر المختصة.

IV . علاج مشكلة التفريط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله..)[1].

إنني أعتقد . وهذا مجرد رأي شخصي . أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتآزر والتناصح.. طبيعة المؤمن وسجيته، عندما يصح دينه، وتصلح عقيدته، يعالج بالعمل جهله.. وما يقال عن المؤمن المسلم، يصدق ويصح أن يقال عن الأمة المؤمنة المسلمة.

وأرى أن هذه الأمة الإسلامية، وما يمكن أن يسير في ركابها، ويتبعها من الأمم التي سيستهويها ويبهرها الإسلام، لا يمكن أن تكون إلا بارةً وفيةً، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، مؤمنة بالله، لأن قوله تعالى: (كنتم)، بصيغة الماضي، لا تنسحب على الماضي فحسب، وإنما تشمل كافة الأزمنة قياساً على قوله تعالى: (وكان الله عليماً حكيماً) إذ لا يساع . بحال من الأحوال . أن تؤخذ (كان)[2]، على صيغتها، مقصورة على الماضي فقط.

وإن علاج المشكلات السابقة، التي أشرنا إليها قبل، قمين بأن يجعل معالجة هذه المشكلة أمراً ممكناً ميسوراً، فالعلم والثقافة والتدين الصحيح العميق. كفيل بأن يوقظ الضمائر ويشحذ الهمم، ويقوي العزائم والإرادات وينير العقول والأفهام والبصائر.

فيشعر كل فرد بمسؤوليته، أداء أمانته، والقيام بواجباته وتبعاته.. ويدفع الأمة جمعاء إلى أداء الرسالة، وتبليغ الأمانة وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والصبر..

---

[1] ـ آل عمران ١١٠.
[2] ـ النساء ١٧٠.